إضاءات نقدية (فصلية محكمة)
السنة العاشرة – العدد السابع والثلاثون – ربيع ١٣٩٩ش / آذار ٢٠٢٠م
DOR: 20.1001.1.22516573.2020.10.37.2.4
صص ٦٩ ـ ٤٥

التهجين فى الرواية الجزائرية المعاصرة على ضوء نظرية هومى بابا (رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضک" لعمارة لخوص أنموذجا)

محمد تدو (الكاتب المسؤول)*
عليرضا شيخى**

الملخص

يتعـرّض المهاجـرون لتغيرات جذريـة فى كيفيـة التعامل مع البيئـة الجديدة أثناء الهجـرة وإن هاجس الحفاظ على الثقافة الوطنية من جهة والتواصل البناء مع البيئة الجديـدة من جهة أخرى يعتبران من تعقيدات تعامل مجتمع المهاجرين مع السـكان الأصليـين. بما أنّ الرواية والقصة من أكثر الأدوات خلـودا لتصوير التحديات التى يواجههـا المهاجرون عند اعتناقهم الهوية المزدوجة، تناول العديد من الكتّاب العرب فى أعمالهم الأدبية موضـوع المهاجرين فى أوروبا، منهم الروائى الجزائرى المعاصر عمارة لخوص فى رواية "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضک" التى تدور أحداثها حـول المهاجرين من دول العـالم الثالث الذين هاجروا إلى إيطاليا.يرسـم الروائى أزمات هوية المهاجرين والتناقضات الثقافية والاجتماعية والدينية التى تعرّضوا لها فى البلد المسـتضيف. يحاول المقال الحاضر إلى تحليل موضوع الهجنة فى شـخصية المهاجرين على ضوء آراء هومى بابا الناقد الأميركى ذو أصل هندى مستعينا بالمنهج الوصفى التحليلى، ومن أبرز النتائج التى توصلنا إليها هى أن لخوص يجسّـد الهوية المهجنة للمهاجرين فى شؤون كالدين والطعام واللغة والاسم والعادات والتقاليد وأنّ معظـم المهاجرين الجدد ماعدا بطل الروايـة؛ أمديو غير قادرين على خلق الخطاب والتبادل الثقافى مع السـكان الأصليين، وقد يـؤدى عجزهم على التعامل مع فضاء الهجرة إلى عدم تمكنهم من قبول الهوية الجديدة.

الكلمات الدليلية: أدب الهجرة؛ الهوية المهجنة؛ كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضک؛ عمارة لخوص؛ هومى بابا.

---

*. طالب دكتوراه فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الإمام الخمينى(ره) الدولية، قزوين، إيران
tadou66@gmail.com
**. أستاذ مساعد فى قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام الخمينى(ره) الدولية، قزوين، إيران
shaikhi@hum.ikiu.ac.ir

تاريخ الاستلام: ١٣٩٨/٤/٢٧ش تاريخ القبول: ١٣٩٨/١٠/٢ش

المقدمة

إن أدب الهجرة يطلق بشكل عام على القصص التى يكتبها المهاجرون أو ما يروى من قصص المهاجرين واللاجئين والمنفيين. يعود تاريخ الهجرة والنزوح فى الشرق إلى ستة قرون قبل الميلاد. منذ أن احتل الغزاة مدينة بابل وغادر السكان أوطانهم، تطلق على "diaspore" بمعنى طرد اليهود من مدينة بابل فى اللغة اليونانية كما أنها مستخدمة بنفس المعنى مع اختلاف بسيط فى الوصف فى اللغات الأوروبية. (حق شناس والآخرون، ١٣٨١ش: ٤٣٠؛ Soukhanov,2005: 2107 ؛Gwinn: 1991: 370) يرجع تاريخ دخول مصطلح"أدب الهجرة" فى أدب وثقافة الدول الغربية السياسى إلى سنوات مابعد الحرب العالمية الأولى والثانية. إن وجود الأبعاد المختلفة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للهجرة جعلتها محل نقاش الدراسات البينية فى العلوم الإنسانية. يتعرّض المهاجرون لتغيرات جذرية فى كيفية التعامل مع البيئة والثقافة والعادات الجديدة فى بلد الأصل والمقصد أثناء الهجرة والانتقال من وطنهم. إن توقّف العملية الطبيعية للتواصل البشرى مع بيئتهم يجعلهم يشعرون بالغربة وعدم الانتماء للبيئة التى يعيشون فيها. إن هاجس الحفاظ على الثقافة والعادات والتقاليد الوطنية من جهة والتواصل البناء مع الثقافة والبيئة الجديدة من جهة أخرى، يعتبران كجزء من تعقيدات تعامل مجتمع المهاجرين مع السكان الأصليين. تعتبر الرواية والقصة من أكثر الأدوات خلودا لتصوير التحديات التى يواجهها المهاجرون عند اعتناقهم الهوية المزدوجة. تناول العديد من الكتاب موضوع المهاجرين فى أعمالهم الأدبية ومنهم الكاتب والروائى الجزائرى المعاصر المبدع عمارة لخوص الذى صّور حياة المهاجرين فى عمله الروائى؛ "كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضّك". لخّوص الذى هاجر وطنه الجزائر منذ زمن بعيد ويقيم حاليا فى إيطاليا، فى عمله الأدبى هذا يرسم للقارئ ظروف المهاجرين فى المجتمع الغربى ويصور حياتهم فى الفضاء الثالث ويتناول موضوع الهجنة وأزمة الهوية. إن سبب اختيار نظرية مابعد الاستعمار لتحليل موضوع الهجنة فى شخصيات المهاجرين يكمن فى إمكانية تسمية أدب ما بعد الاستعمار بأدب الهجرة. لأنه يجعل المهاجرين يتنقّلون من بلدهم الأصلى إلى بلد آخر وتتم دراسة

المشـاكل التى تحدث للمهاجرين أثناء تنقّلهم ومدى تأثـيره على هويّتهم ويعتبر ذلک من مواضيع نقد مابعد الاسـتعمار. بالتّالى تحاول الدراسـة الحالية تحليل مفهوم الهجنة فى شخصيات رواية "كيف ترضع" على ضوء نظريات"هومى بابا" المنظر الأميركى ذى الأصول الهندية مستعينة بالمنهج التحليلى- الوصفى. لذلک فى البداية قد جاء التعريف بالمؤلف وملخص الرواية ثم اسـتعرضت العلاقة بين نقد مابعد الاسـتعمار ونظرية بابا ومن ثم تم تحليل بعض القضايا مثل الهوية وأنواع الهجنة وأخيرا اختتم البحث بخلاصة ما توصّل إليه الباحثان فى بحثهما هذا.

أسئلة البحث

١. كيـف تهجنّت شـخصيات المهاجرين فى رواية "كيف ترضـع من الذئبة دون أن تعضّک" بواسطة العيش فى الفضاء الثالث؟

٢. فـى رواية "كيـف ترضع" أيّهما له تأثـير أكبر على ثقافة المهاجـر؛ ثقافة البلد المستضيف أو ثقافته الوطنية؟

٣. فى أى أمور، تجسّدت هجنة شخصيات المهاجرين فى الرواية كيف ترضع؟

فرضية البحث

١. يمكـن القـول إن العيش فى الفضـاء الثالث يتطلب تخلّى الشـخص عن ثقافته وعاداته وتقاليد بلاده وأن يذوب تماما فى ثقافة الدولة المستضيفة، يبدو أن بطل القصة هو الشـخصية الوحيدة التى يعيش فى هذا الفضاء وتجاوز الفضاء البينى، بينما لاتزال تبقى الشخصيات الأخرى فى الفضاء البينى.

٢. يبدو أن تأثير ثقافة البلد المسـتضيف على كل شخصية تعيش فى الفضاء الثالث اكـبر مـن ثقافته الوطنية، كما يمكـن القول إن الثقافة الوطنية تطغـى على ثقافة البلد المستضيف بالنسبة إلى الشخصيات التى تعيش فى الفضاء البينى.

٣. من خلال دراسـة شـخصيات الرواية، يبـدو أن لخوص يجسّـد الهوية المهجنة للمهاجرين فى شؤون عديدة مثل الدين والأكل واللغة والاسم والعادات والتقاليد.

خلفية البحث

خلفية البحث تشتمل على قسمين: القسم الأول يحتوى على الكتب والمقالات المنشورة عن قراءة مابعد الاستعمار التى تعتمد على رؤية هومى بابا وأهم المصادر فى هذا الموضوع كتاب"موقع الثقافة" الذى يتناول فيه بابا مواضيع عدة مثل الهوية والمحاكاة والهجنة ويقوم بإعادة تعريف العديد من المواضيع المتعلقة بالدراسات الثقافية، بالإضافة إلى ذلک أنّه نقد الدراسات التى جرت حول المناهج الثقافية المختلفة. كما ثمّة بعض الدراسات الجادّة أهمّها:

١. مقالة "خوانش پسااستعمارى تجربه‌ى مهاجرت در رمان "أصابع لوليتا" اثر واسينى الاعرج از ديدگاه هومى بابا" للباحثين سيدحسن فاتحى وفرامرز ميرزائى وبى‌بى راحيل سن‌سبلى (دراسة العناصر المهجّنة فى هذه الرواية الجزائرية على ضوء نظريات هذا المنظر)، المنشورة فى مجلة نقد الأدب العربى بجامعة بهشتى، ١٣٩٥ش.

٢.مقالة "خوانش پسا استعمارى از رمان مردم جولاى" لمينو جوان مولايى ورضا ياوريان وهى دراسة الثنائيات الضدية على ضوء نظرية هومى بابا. (المنشورة فى فصلية نقد اللغة والأدب الأجنبى) بجامعة الشهيد بهشتى، العدد٥، ١٣٩٢ش.

٣.هويت زن شرقى مهاجر در آثار جومپا لاهيرى ومهرنوش مزارعى از ديدگاه هومى بابا»: دراسة مقارنة بين هوية المرأة الإيرانية والهندية على ضوء نظريات هومى بابا للباحثين أميد ورزنده وسيد رضا إبراهيمى. (المنشورة فى مجلة فصلية تخصصية للأدب الفارسى) بجامعة آزاد فى سنندج، العدد١١، ١٣٩١ش.

القسم الثانى: الدراسات التى تناقش روايات "عمارة لخوص"و هى تشمل:

١."سيميائية العتبات فى رواية كيف ترضع ... لعمارة لخوص (دراسة سيميائية لهذه الرواية من خلال طرائق التحليل السيميائى) " للباحثة "زهيرة بولفوس"، المنشورة فى مجلة العلوم الإنسانية فى الجزائر، العدد٤٦، ٢٠١٦م.

٢."الأنا والآخر فى الرواية الجزائرية؛ قراءة فى نص كيف ترضع .... لعمارة لخوص" (دراسة علاقة المهاجرين فى هذه الرواية بسكّان إيطاليا وكيفية تعاملهم معهم) للباحث الجزائرى "محمد فايد"، المنشورة فى مجلة "الآفاق العلمية الجزائرية"، العدد١١،

٢٠١٦م.

٣.رسالة جامعية معنونة "تجربة عمارة لخوص الروائية من منظور جماليات التلقى" (دراسة جماليات التلقّى فى روايات لخوص) لـ"أحلام العلمى"، تم نقاشها عام ٢٠١٦ فى الجزائر.

٤. رسالة جامعية تحت عنوان" الحوارية فى رواية "كيف ترضع" "لآمال روايقية" (دراسة حول سيرة المنفى وواقع المهاجر وما يعانيه من عنصرية وتهميش فى إيطاليا) تم نقاشها عام ٢٠١٩ فى الجزائر.

حسب معلومات الباحثين إن هذه الدراسة هى أول دراسة مستقلة تتناول موضوع تهجين هوية الشخصيات الروائية فى أعمال الكاتب الروائى على ضوء نظرية "هومى بابا" كما أنّها أول دراسة تناقش موضوع أعمال لخوص الروائية فى إيران و تعرّفه إلى الأوساط العلمية والأدبية فى البلاد.

شذرات من حياة الروائى

عمارة لخوص من مواليد الجزائر العاصمة عام ١٩٧٠م. تخرّج من معهد الفلسفة بجامعة الجزائر، وواصل دراسته وحصل على الدكتوراه من جامعة روما فى الأنثروبولوجيا ويقيم حاليا فى مدينة نيويورک الأمريكية. غادر بلاده إلى إيطاليا عام ١٩٩٥م كان يعمل صحفيا فى الإذاعة الوطنية الجزائرية ويعانى على غرار الكثيرين من الصحافيين الجزائريين من مشاكل مختلفة، اشتغل فى البداية فى مجال الهجرة فى جمعية تعنى بحقوق المهاجرين واللاجئين السياسيين، ثم فى وكالة للترجمة، ووكالة الأنباء الإيطالية، ليتفرّغ للكتابة والأدب نهائيا عام ٢٠٠٦م. (لخوص، مقابلة شخصية: ١٣يونيو٢٠١٣م، قناة ٢٤الفرنسية بالعربية)

عندما هاجر إلى إيطاليا، عشق اللغة الإيطالية وآدابها، لأنّه وجد سهولة فى تعلّم اللغة الإيطالية لسببين، أولهما هو نشأته فى بيئة متعددة اللغات (العربية والأمازيغية والفرنسية) وهذا شكّل أرضية له لاكتساب لغة جديدة والثانى هو قرابة الإيطالية من الفرنسية، فقرّر أن يكون كاتبا مزدوج اللغة وهذا الأمر يجعله الروائى العربى الوحيد

الـذى يكتب باللغتين فى نفس الوقت. فكل رواية لها طبعة بالإيطالية وأخرى بالعربية. هو لا يترجم وإنما يعيد إنتاج نص رواياته بشـكل جديد. رواياته هى"كالتوائم، وُلِدت من رحم واحد" ولكنها مختلفة من حيث البنية واللغة وبناء الشخصيات.(لخوص، مقابلة شـخصية: ٢٩يناير ٢٠١٥م، قناة الجزيرة الإخبارية) يقـول جابر عصفور عنه: «يبدو لخـوص أمينا لذاته وفنه ويميز بـين نصين يتقطعـان فـى نقـاط ويختلفان فى أخرى، ويشـدد على ذلك بإعطاء عنوان يختلف عن نظيـره فـى اللغـة الأخرى.» (عصفور: ٢٠١٢م: ١٧)

نشـر روايتـه الأولى"البق والقرصان" فـى طبعة مزدوجة اللغة عربيـة إيطالية فى رومـا عـام ١٩٩٩م. وصدرت روايته الثانية "كيف ترضع مـن الذئبة دون أن تعضك" فـى الجزائر عام ٢٠٠٣م. أعـاد كتابة هذه الرواية بالإيطاليـة وصدرت عام ٢٠٠٦م بعنوان"صـدام الحضارات حول مصعد فى سـاحة فيتوريو حيث نالت نجاحا كبيرا فى إيطاليا وتم تحويلها إلى فيلم سينمائى عرض فى قاعات السينما الإيطالية عام ٢٠٠٤م. أما الرواية الثالثة التى صدرت عام ٢٠١٠م فهى تحمل عنوان "القاهرة الصغيرة" وهى محاكاة لعنوان رواية لنجيب محفوظ "القاهرة الجديدة" والمعروف أن لخوص من المغرمين بالسـينما الإيطالية. (خمـرى، ١٣٩٤ش: ٣٠٦-٣٠٥) وصدرت روايتـه الرابعة "فتنة الخنزير الإيطالى الصغير فى حى سـان سـالفاريو" والخامسة "مزحة العذراء الصغيرة فى شارع أورميا.» (لخوص، ٢٠١٠م: ٢١٣)

حاز لخوص على جوائز أدبية عدة منها جائزة "فلايانو" الأدبية الدولية عام ٢٠٠٦، إضافة إلى جائزة المكتبيين الجزائريين عام ٢٠٠٨م (لخوص، ٢٠١٢م: الموقع الشخصى) ولم تنحصر شـهرته فى إيطاليا فحسـب، بل ترجمت أعماله من الإيطالية إلى الفرنسية والإنكليزية والهولندية والألمانية والكورية وأخيرا إلى اليابانية.

ملخّص الرواية

تحكـى رواية كيف ترضع حكاية مجموعة مـن المهاجرين الذين تقاطعت مصائرهم وتشابكت حياتهم فى روما، جاءوا من دول العالم الثالث ليبحثوا عن حياة جديدة فى

قلب العاصمة القديمة للقارة الخضراء. إن حياتهم صعبة، عانوا كثيرا من العنصرية ومن الملاحقات بسبب أن معظمهم لايملک وثائق رسمية. تتطّور الأحداث لما يكتشف سكان المبنى جثة شاب إيطالى؛ "لورنزو مانفريدى" داخل مصعد المبنى الملقّب بالغلادياتور ويتزامن قتله مع اختفاء المهاجر الجزائرى "أحمد" المعروف بـ"أمديو" والذى يتهم بالجريمة بسبب اختفائه بعد الجريمة وخلافاته مع القتيل.

فى الرواية كثير من الأسئلة التى تطرحها شخصياتها عن الهوية والهجرة وحياة المهاجرين وعن العنصرية والطابع الصراعى الذى يضبط علاقة الإيطاليين بغيرهم، كما أنها تعالج قضايا متعلقة بالخصوصيات الثقافية للجماعات البشرية فى سياق الظروف الدولية العامة التى ميزّت العلاقة بين الغرب والإسلام عقب أحداث ١١من سبتمبر ٢٠٠١م، خاصة مع الشرعية التى اكتسبه موضوع صراع الحضارات.

قرّر أحمد السالمى بطل الرواية الخروج من الجزائر فى صمت، بعدما لم يتحمّل ما حدث لحبيبته بهجة حيث قتلت من طرف الجماعات المسلحة، لذلک يهاجر إلى إيطاليا يغيّر اسمه إلى "أمديو" وتزوج من امرأة إيطالية وأتقن الإيطالية، فظن الجميع أنه إيطالى وليس مهاجرا. كان يقضى حوائج المهاجرين ولذلک أصبح محبوبا لدى الجميع خاصة المهاجرين. صوته حاضر فى الرواية بعد كل حضور لشخصية أخرى، يوضح ويفسّر جميع الطباع والمواقف يصدّق ويؤكد أقوال شخصيات القصة دون أن يفصح عن شخصيته وجنسيته إلّا فى نهاية الرواية.

ومن الشخصيات الأخرى برويز صمدى اللاجئ الإيرانى الهارب من شيراز بعد عثور لجنة الثورة على بعض منشورات السياسية فى مطعمه وهدّد بالموت وهو الذى يعانى من الاندماج فى المجتمع الإيطالى بسبب اللغة وتقييد فرص العمل له وبوّابة العمارة؛ بندتا اسبوزيتا من سكّان النابولى من جنوب إيطاليا الكارهة للأجانب ولغير سكان الجنوب و"إقبال أميرالله" المهاجر المسلم من بنغلاديش الذى يعدّ أمديو زبونه الإيطالى المفضّل الذى يتعامل معه بالتسّامح وهو غير عنصرى وأفضل من بعض المسلمين المتطرفين. و"إلزابتا فابيانى" العنصرية ومغرمة بالكلاب. ثم "ماريا غونزاليز" المهاجرة البيروفية غير الشرعية التى هاجرت لإعالة أهلها الذى تتحمل من أجله

مشـــاكل عديدة حتى الاغتصاب.″أنطونيو مارينى″ الأستاذ الجامعى المنحدر من مدينة ميلانو من شمال إيطاليا وهو عنصرى لدرجة أنه لايميّز بين سكان الجنوب وبين المهاجرين ويعتبر نفســه متحضرا خلافا لسكان روما. ″ســاندرو داندينى″ صاحب النادى الليلى الذى يرتاده أمديو كثيرا والذى صار صديقا له.″ستيفانيا مسّارو″ زوجة أمديو صاحبة وكالة ســياحية وهى امرأة إيطالية وتدعم أمديو فى جريمة القتل كما أنّها على يقين من براءته.″عبدالله بن القدور″ ابن بلد أمديو؛ المســلم المتطرّف الذى يزاول مهنة بائع سمک فى روما ولديه أفكار رجعية وقشــرية عن الإسلام حيث يظنّ أن المسلم الحقيقى يجب أن يكون عربى اللسان.

توصلّت الشــرطة فى البدايــة إلى أنّ أحمد هو قاتل الغلادياتور بســبب خلافاتهم المســتمرة، لكن هذه القضية تتغير بعد أن يتأكــد من أن أمديو تعرّض إلى حادث مرور ونقله إلى المستشــفى تزامنا مع جريمة قتل لورانزو فى العمارة ويكتشــف أخيرا أن من قتله هى جارة أمديو؛ إلزابتا فابيانى″.

خطاب ما بعد الاستعمار

يتنــاول مفهوم ما بعد الكولونيالية «آثار الاســتعمار علــى الثقافات والمجتمعات. ولمصطلح ″ما بعد الكولونيالى″ بحســب استخدام المؤرّخين له فى الأصل عقب الحرب العالمية الثانية فى سياقات مثل دولة ما بعد الكولونيالية، معنى تاريخى تسلسلى واضح، إذ يشــير إلى فترة ما بعد الاســتقلال. على أى حال، فقد استخدم النقّاد الأدبيون هذا المصطلح بداية من أواخر الســبعينيات لمناقشة الآثار المتعدّدة للاستعمار.» (أشكروفت وآخرون،٢٠١٠م: ٢٨٢) هذه النظرية «هى جزء من حقل النظرية الثقافية أو الدراسات الثقافيــة متعددة الفروع الذى يعتمد على الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والدراســات الإثنيّة والنقد الأدبى والتاريخ والتحليل النفســى وعلم السياسة والفلسفة فى تفحصّه النصوص والممارسات الثقافية المختلفة.» (ثابت، ٢٠١٤م: ١٠٤) ومن خلال الاقتراض من النظريات والمدارس مثل ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية والنسوية وغيرها، تحولت الى نظرية بينية وديناميكية. لكن القواسم المشتركة بينها أن الإجماع يدور حول الاضطهاد

الاستعمارى والنيوكولونيالى ومقاومة الاستعمار والهجرة وعواقب الاختلاط الثقافى وما إلى ذلک. (موسوى ودرودى، ١٣٩١ش: ٤٣-٤٩) وتشير الدراسات الأخيرة إلى أنّ عدد الهجرة التى جرت فى العقود الأخيرة خاصة بعد ظاهرة الربيع العربى عام ٢٠١١م ازدادت أكثر من أى وقت مضى.

يمكن دراسة موجة الهجرة كظاهرة جديدة، كنتيجة لعالم ما بعد الاستعمار من وجهات نظر مختلفة. إن أدب الهجرة يروى قصة حياة المهاجرين وقضاياهم اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا فى بلد أجنبى. يذوب جغرافيا الثقافة العالمية الهويات الفردية ويغيّر مفاهيم كاللغة والمكان والعرق ويضع الأسس للدراسات الثقافية ودراسات ما بعد الاستعمار. يحاول هذا النقد إلى دراسة المشاكل التى تطرأ على المهاجرين من خلال الأدب وفى قالب الرواية.

إن أبرز المنظرين فى نقد ما بعد الاستعمار ومجال الهجرة هو هومى بابا كاتب أميركى ذو أصول هندية. «ولد بابا فى مدينة "مومباى" عام ١٩٤٩م فى الهند، درس الأدب الإنجليزى وتخرج فى جامعة أكسفورد. درس بإنجلترا ثم فى الولايات المتحدة فى جامعة هارفارد ويعد من دارسى النظرية مابعد الكولونيالية. برز اسمه من خلال طرحه لمفهوم "التهجين" ويرى أن التفاعل بين المستعمِر والمستعمَر يؤدى ليس إلى انصهار المعايير الثقافية التى تؤكد السلطة الاستعمارية فحسب، بل تهدد أيضا فى محاكاتها بزعزعة استقرارها وهذا ممكن لأن هوية المستعمر فى حد ذاتها غير مستقرة إذ توجد فى وضع معزول و مغترب.» (كارتر،٢٠١٠م: ١٢٧) ويرى الباحث شيرزاديان أن «تعدّد مكان الميلاد ومكان الدراسة ومكان العيش لهذا المثقف، قد جعله من أكبر المنظرين تأثيرا فى ثقافة التشرد والتعددية الثقافية.» (شيرزاديان، ١٣٨٨ش: ١٩)

قد كتب بابا الكثير عن تجربة الهجرة ومن خلال «التأكيد" على مفاهيم مثل "الهجنة" و"التشرّد" و"المنفى" التى تشير فى الغالب إلى إقامة المهاجرين غير الأوروبيين فى الدول الغربية واندماجهم فى هذه الحضارة ومن خلال التحدّث عن موقف "الانزعاج فى الوطن- الذى اعتبره منتوجا للاستعمار- يدعو إلى خارج الحدود الوطنية والتداخل الثقافى كما أنه يصف الشخص المهاجر والمنفى رمزان قد وقعا فى هذا

الموقف.» (ذاكرى، ١٣٩٢ش: ٦٢) كما تحدّث بابا بشكل مطوّل عن التاريخ ووجوب دراسته فى كتابه؛موقع الثقافة قائلا: «يمكن تعلم أعظم دروس الحياة ممن تعرضوا لمعاناة التأريخ من نزوح وأسر.» (Bhabha, 1994: 246) إن اعتقاد بابا فى الهوية أنه يعتبرها غير ثابتة بطبعها«ومن خلال مبادرة نظرية الهجنة يجعل تحدّى مفاهيم الهوية والثقافة والجنسية فى صلب اهتمامه»كما يرى أن «الهجنة هى الهامش الذى تتقاطع فيه الخلافات الثقافية مع بعضها البعض وتخلّ بالهوايات المستقرّة التى تدور حول النزاعات حول الماضى والحاضر.» (شاهميرى، ١٣٨٩ش: ١٥٧) يعتقد البابا أن الهجنة ووضعية المجازة/العتبة (liminality) تختلفان معا حيث أنّ بابا «يعتبر الهجنة عملية الاندماج الثقافى الذى يختار فيه المهاجر جوانب من ثقافة الدول المستضيفة ثمّ يقوم بإعادة بناءها وإصلاحها وفى النهاية تتغيّر؛ لكن تواجه المهاجر فى وضعية المجازة/ العتبة الغموض لأنه يقع بين خيارى الانفصال من الوضعية المجتمعية الأولى والاتصال بالثانية ولهذا يمكننا إطلاق تسمية التجربة العابرة عليها. (نجوميان، ١٣٩٣ش: ٧) فيقترح بابا الفضاء الثالث الذى تتلاشى فيه السياسة الثنائية القطبية ولا يشعر الشخص بأى شعور تجاه ثقافة وطنه.(سپهوند، ١٣٩٤ش: ٦٨-٦٩) لذلک يمكن القول إن وضعية المجازة/ العتبة هى مرحلة وسيطة بين الانفصال من حياة المهاجر فى وطنه وبين الاندماج فى مجتمع بالدولة الأجنبية التى عاش فيها.

من ناحية أخرى، من خلال استخدام مفهوم "الآخر" فى تحليل العلاقة المستعمِر-المُستعمَر يشدد بابا على الترابط المتبادل والبنية ثنائية الاتجاه فى عقليّة الجانبين. (شاهميرى، ١٣٨٩ش: ١٥٩) لذلک، يمكننا تقديم موضوع "الآخر" الذى يتعلّق بالمستعمِر والمستعمَر فى العلاقة بين المهاجرين والمجتمعات الأجنبية التى يكون فيها المهاجر ضيفا غير مدعو وينظر إليه بنظرة "الآخر". (افشارى وزاهدى، ١٣٩٢ش: ١٥١) إن تمثيل "الآخر" فى السياق الاستعمارى مهم للغاية وإن هذه التمثيلات قبل كل شيء تمثّل الوجه الخفى للشخص الذى يلجأ إليها. غالبا ما يحاول المركز تقديم صورة مشوّهة عن "المهمّش (الآخر) باستخدام الصور والقوالب النمطية. من وجهة نظر بابا، ليست مهمّة الباحث فى حقل ما بعد الاستعمار هو إلقاء نظرة عابرة على هذه الصورة المشبوهة

أو إعلان ما إذا كانت هذه النظرة إيجابية أم سلبية فحسب، بل عليه تحليل العمليات الأساسية التى صاغت هذه الصور والقوالب. (فرهمندفر ونجوميان، ١٣٩٢ش: ٦)

إن موقع الثقافة هو الفضاء البينى فى منظور بابا، لذلک إن الهويات الثقافية هى هويات بينية وهجينة. إذن يمكن القول إن الهوية وعلى نطاق أوسع، الأشكال الثقافية ليست لها بؤر، بل هى عملية ذات نهاية مفتوحة يعاد تعريفها دائمًا. بالإضافة إلى ذلک، إن الهجرة بالنسبة لبابا هى نوع من الترجمة الثقافية و يعتقد أنّ المهاجر يترجم الثقافات ويتجاوز الحدود ونتيجة هذه النظرية لاتعدو أن تكون سوى تهجين الهوية وتهجين الثقافة. (فرهمندفر،١٣٩٣: ٢٩)

معالجة تحليلية لموضوع الهجنة فى رواية كيف ترضع

إن العيش فى بيئة تختلف اختلافا جوهريا عن مسقط رأس الشخص تخلق هوية «تتجلّى فى بيئة متناقضة وثنائية وهذا قد يساعده على فهم غرابة التنوع الثقافى.» (شاهميرى،١٣٨٩م: ١٥٨) ونرى من خلال دراسة رواية "كيف ترضع" أن الهجنة تتمثّل فى مرتكزات كالدين واللغة والاسم والأكل والعادات والتقاليد التى ستأتى تفاصيلها على النحو التالى:

التهجين فى الهوية

تعتبر الهوية من مفاهيم العلوم الاجتماعية الأساسية وعلم الاجتماع الثقافى على وجه الخصوص وهناک خلافات كثيرة حول تعريفها مثل غيرها من مفاهيم العلوم الاجتماعية وقد تناول ذوو الاختصاص جوانب متعددة فى تعريفها. وقد اقترح العلماء مستويات متعدّدة للهوية من مختلف المجالات على سبيل المثال، «إن علماء الاجتماع يعتقدون أن الهوية هى شعور يحصل عليها الشخص فى مجتمع ما ثم يدرک بشعور الهوية المشتركة اعتمادا على القواسم المشتركة بينه وبين الآخرين أو خلافاته معهم.» (لک، ١٣٨٤ش: ١١٣) يرى علماء النفس مثل "جان بياجيه" و "سيغموند فرويد" أن أساس تكوين الهوية الإنسانية تحدث فى مراحل نموِّه المختلفة . (قمرى وحسن زاده،

١٣٨٩ش: ٣)كما أنَّ الهوية والشعور بها فى علم النفس «تعتبران من خصائص الفرد الشخصية والشعور بالهوية عبارة عن شعور الإنسان بالنسبة إلى استمرار حياته النفسية والوحدة التى يشعر بها فى الظروف المتغيّرة؛ لذلک من منظور علم النفس، إن الهوية تكسب المعنى عندما يواجه الإنسان شخصا آخر و الآخر هو عبارة عن أفراد المجتمع الآخر أو الأدوار التى يحتلّها الشخص.» (المسكينى، ٢٠٠١م: ٧-١١) كما يرى المفكرون الآخرون أن الهوية سبب للتمييز بين الأنا والآخر ويعزز العمل الفردى أو الاجتماعى على أساس ذلک بهدف الحفاظ على استمراره وتطوّره أو لتدمير وإضعاف الهويات الأخرى. (سنو، ٢٠٠٢م: ١٠٣-١٠٤) فمن خلال هذه التعاريف وغيرها يمكن أن نجملها فى هذا التعريف، فالهوية هى مجموعة من القيم والمشاعر والاتّجاهات تميّز جماعة ما، أو شعبا ما أو أمة ما وتضمّ هذه الهوية اللغة والدين والتاريخ والعادات والتقاليد التى نشأ عليها المجتمع وورثها عن أسلافه وفيها الثابت والمتحوّل.

فى هذه الرواية يصوّر الروائى كيفية اندماج المهاجرين فى الحياة الجديدة. إن غالبية شخصيات الرواية تقبل الاندماج فى البلد المستضيف والاختلاط الثقافى على الرغم من أن مدى اندماج كل شخصية يختلف عن الأخرى. وفى غضون ذلک، فإن كيفية هجنة بطل الرواية؛ "أحمد السالمى" مختلفة تمامًا عن غيره من المهاجرين حيث نرى أن أمديو قد ابتعد كل البعد عن هويته الجزائرية واللغة العربية وعرقه وثقافته وحاول الذوبان والإدماج فى البيئة الجديدة التى تختلف عن هويته الوطنية،حيث أن زوجته الإيطالية تؤكد أن أمديو قد نسى ثقافته ولغته وحتى اسمه وأصبح رجلا إيطالياً من رأسه حتى أخمص قدميه لأجلها، حيث ضحّى بنفسه لإجل إسعاد زوجته ولتحقيق هذا الهدف المنشود تعلّم الإيطالية وأحب الطبخ فى البلد المقصد وغيّر اسمه من أجل اندماج أفضل فى المجتمع الإيطالى وباختصار أصبح إيطالياً بحتا. إن بطل روايتنا ذاب بالهوية الإيطالية وتجرّد عن هويته الجزائرية لدرجة أنه بعد بدء تحقيقات مقتل "لورنزو مانفريدى" والكشف عن هويته الحقيقية، لم يصدّق أى من شخصيات الرواية أنه لم يكن إيطاليا. على سبيل المثال، بوّابة العمارة وهى امرأة عنصرية وضد المهاجرين لاتصدّق أن يكون أمديو مهاجرا أجنبيا لأنها تعتقد أنها قادرة على تمييز بين المواطن من سكان

الأصليين فى إيطاليا وبين المهاجرين الأجانب. (لخوص، ٢٠٠٣م: ٣٦)

إن بوّابــة العمارة تصف أميدو أكثر ولاء و انتماء منها الى وطنها إيطاليا وتعتبر أن الاعتقــاد بأن يكون أمديو مهاجرا فى الواقع مثل أن تكون هى مهاجرة جاءت من بلد العالم الثالث مثل فيليبين أو باكستان إلى إيطاليا وتعيش الأن فى العاصمة روما، بعبارة أخرى لم تخطر على بالها يوما أن تســمع أن أمديو من ســكان شمال إفريقيا وهو عربى مسلم جاء إلى إيطاليا هروبا من ماضيه المر. إن "إقبال البنغالى" يعتقد نفس اعتقاد بوابة العمــارة حيث يرى أن أمديو هو الإيطالى المثقّــف الذى يترك محلات مواطنيه ويأتى عنده لشــراء المواد الغذائية كما أنه خلافا للكثير من مواطنيهم فى روما ليس فاشــيا أو عنصريــا يكره المهاجرين والأجانب. رغم أنه مســيحى على زعم إقبال، لكنه أحبه أكثر من بعض البنغاليين وبعض المســلمين. بالإضافــة إلى ذلک أن أقبال فوجئ عندما يســمع أن أمديو هو مهاجر مثله وقد فرّ من العدالة بعد ارتكاب جريمة قتل الغلادياتور ولايستطيع أن يصدّق هذا الخبر الذى يعتقده مفبركا. (نفس المصدر: ٥١ – ٥٣)

ربمــا يظن القــارئ أن الهوية المهجنة لدى أمديو محصور فــى وجهة نظر المهاجرين فــى الرواية هم الذين لم يتمكّنوا من التكيّف مع ظروف إيطاليا على الرغم من العيش لســنوات طويلة فى هذا البلد لكن الأمر لاينتهى عند هذا الحد حيث نرى أن ســكّان رومــا يعتقدون نفس اعتقاد المهاجرين بخصــوص هوية أمديو، حيث نرى أن الإيطالى "ســاندرو" صاحب مقهى ليلى "دنديني" لايصدّق أبــدا أن يكون أمديو مهاجرا إيطاليا لأنه خلافا لبقية المهاجرين يعرف تاريخ روما وحتى شوارعها أكثر من سائقى سيارات الأجرة الذين يرتادون ليلا و نهارا فى العاصمة الإيطالية منذ ســنوات طويلة حيث أنه لم يرَ أحدا مثل أمديو بهذه المعلومات الواسعة عن روما. (نفس المصدر: ١٠٦) فى قسم آخر من الرواية يكشف ساندرو النقاب عن سباق معرفة روما بين أمديو وسائق سيارة الأجرة يدعى "ريكاردو" المتجوّل أكثر من ٢٠ ســنة فى أحيا مدينة روما مدار الساعة لكن برغم من ذلک هزم المســابقة من أمديو لأنه يعرف روما لدرجة كأنه ولد فيها ولم يغادرها أبدا. (نفس المصدر: ١٣٢)

إن هجنة شخصية بطل الرواية لاتنحصر على المواطنين العاديين فى روما بل يتجاوز

إلى المثقفين والأكاديميين حيث نشاهد أن الأستاذ الإيطالى فى جامعة روما الذى يدّعى أنه بإمكانه التمييز بين سكان شمال إيطاليا وأهل الجنوب من خلال تصرّفاتهم، لا يخطئ فقط باعتبار بطل الرواية رجلا إيطاليا مثقفا بل يتجاوز هذا الحد ويصدّق أنه من سكان الشمال لأن طريقته فى الكلام و التحية والمشى أشبه بطريقة أهل ميلانو أو طورينو فى شمال إيطاليا. (نفس المصدر: ٨٥-٨٦)

كما تبين الأمثلة المستخرجة من الرواية، أن بطل الرواية؛ أحمد ابتعد عن هويته ولغته فى الجزائر تسهيلا لاندماجه فى المجتمع الإيطالى خلافا لابن بلده عبدالله الذى يرفض عملية الاندماج والذوبان فى المجتمع المستضيف، لأنه يقاوم أمام التكيّف مع البيئة الجديدة فى إيطاليا التى تختلف اختلافا جوهريا مع مجتمع وطنه؛ الجزائر وهذا الأمر أدّى إلى الكثير من المشاكل والعواقب فى سبيل الاتصال بالسكان الأصليين وهذا الأمر يشير إلى أن أمديو والقدّور رغم انتماءهما إلى مجموعة وجنسية واحدة لكنهما ليسا مماثِلَين ويعانيان من عدم التجانس الفكرى.

التهجين فى الدين

إن المدارس الإسلامية هى راعية الثقافة الإسلامية للمسلمين فى جميع أنحاء العالم وخاصة للجاليات والأقليات الإسلامية، وهى تلعب دورا أساسيا و كبيرا فى تثبيت المسلمين على دينهم وعقيدتهم، لذلك إن الأسر المسلمة فى الدول الغربية عادة ما تسجّل أسماء أولادهم فى هذه المدارس لتعلّم القرآن والتعاليم الدينية، لكن نرى فى روايتنا أن إقبال المهاجر البنغالى يعيش فى بيئة بينية وبعد إقامة سنوات طويلة فى إيطاليا لا يرى هذا الموضوع ذات أولويته لأنه اتّخذ قراره ويريد أن يسّجل اسم ابنه فى الحضانة بروما لتعلّم الإيطالية بدلا من تسجيله فى مدارس القرآن أو حتى مدارس تعليم البنغالية. (لخوص، ٢٠٠٣م: ٥٦)

إن الشخصية الرواية الأخرى التى يعيش فى الفضاء الثالث دينيا هو بطل الرواية ويمكن مشاهدة هذه الظاهرة فى العديد من المواقف فى الرواية. الموقف الأول عندما طلب عبدالله ابن بلده أن يرافقه للذهاب إلى جامع روما لأداء صلاة الجمعة ورفض

مرافقته مبرّرا أن ذلک يجلب له الغربة والوحدة. (نفس المصدر: ١٣٦)

وفى مقطع آخر من الرواية نرى أن أمديو يلبّى دعوة "ستيفانيا مسّارو" الإيطالية للعيش معها تحت سقف واحد وإقامة علاقة غير شرعية معها قبل الزواج خلافا للشريعة الإسلامية والتقاليد والأعراف السائدة فى المجتمع الجزائرى ويتعدى على بعض الخطوط الحمراء فى الدين الإسلامى. (نفس المصدر: ١١٩) يمكن أن يكون هذا الأمر السبب الرئيسى لاحتجاج أمديو على عقوبة الزانى فى الشريعة الإسلامية حيث يقول قد منعوه بطرق مختلفة للحيلولة دون إقامة علاقة بينه وبين أى فتاة خارج إطار الزواج الشرعى مردفا: «يا حسرتى على السنوات الضائعة، قالوا لى إن الزانى يجلد مئة جلدة. حاربونى بكل الأسلحة: الله والأنبياء والأولياء والدين والعرف وحسن السلوک وكلام الناس والإيدز.» (نفس المصدر: ١٣٨-١٣٩) لكن رغم ذلک لا يقطع ولا يقطع أواصر العلاقة بدينه القديم حيث يعلن بكل صراحة إلى ابن بلدته أنه لم يرتدّ عن الإسلام ولا يعنتق المسيحية. (نفس المصدر: ١٣٤)

ولاينتهى الأمر إلى هذا الحد حيث نرى أن الروائى الجزائرى تجاوز فى هذا الحقل عن المهاجرين المسلمين والعرب ويطرح الهجنة الدينية لدى سائر معتنقى الأديان السماوية مثل المسيحية. مثال ذلک هى الخادمة البيروفية التى تعيش فى بيئة بينية من وجهة نظر الدين والمعتقدات المسيحية، بينما تعتبر أنها لا تملک الوقت الكافى لحضور قداس أو الوقوف بين يدى أحد القساوسة للاعتراف والتفكير عن ذنوبها.» (نفس المصدر) لكنها فى الوقت نفسه تتحدى قوانين الكنيسة وتعاليم "البابا" وقساوسة الكنائس بشأن بعض القضايا اليومية، بما فى ذلک موضوع الإجهاض حيث تعتقد أن وجهات نظر بابا والكنيسة لاتتحلّى بالشمولية الكافية لأنها تناقش المواضيع من جوانب محدودة بينما تتجاهل الجوانب أكثر أهمية مثل أم الجنين. (نفس المصدر: ٧١)

فى موقف آخر من الرواية، يكشف لخوص عن موضوع الهجنة الدينة لدى مواطنين إيطاليين حيث يتحاور ساندور مع أمديو ويستعرض موضوع انخفاض معدل المواليد فى إيطاليا مبيّنا أن البابا قد حثَّ الإيطاليين مرارا على عدم التوقف عن إنجاب الأطفال. لكن «لا أحد يستمع إلى توجيهات البابا الرامية إلى تشجيع النسل لأن

التكاليـف باهظة والمخاطر مرتفعة والفوائد قليلة.» (نفس المصدر: ١١٦) هذا الموضوع يكشـف إلى تضاؤل تأثير أوامر البابا باعتباره السـلطة العليا للديانة المسـيحية على سكان إيطاليا؛ الدولة التى تضم "الفاتيكان" مركز الكنيسة الكاثوليكية فى العالم بأسره لايسترعون أى انتباه إلى نداء زعمائهم الدينيين.

التهجين فى اللغة

لعبـت اللغة دائمًـا دورًا مهمًا فى تكويـن الهوية والتعبير عنهـا. فى عصر مابعد الحداثـة، مع تضاؤل بعض علائـم الهوية مثل العرق، أصبح هذا الـدور أكثر وضوحًا من قبل. (Warschauer, 2007: 250) لذلک من الواضح أن اللغة ليسـت مجرد وسيلة للتحـاور فحسـب، بل هى أداة للتواصل أيضا. إن شـخصيات عـالم لخوص تعجز فى التواصل مع السـكان الأصليين بسبب عدم اتقانهم اللغة الإيطالية خلافا لبطل الرواية الذى أجاد بشـكل جيـد تقليد الإيطاليـين لدرجة أن معظم الأشـخاص يعتقدون أنه يتحدّث أفضل من العديد من السـكان الأصليين لذلک نشـاهد أن بوّابة العمارة ترى بـأنّ اللغة هى عامل من العوامل المهمّة لتحقيـق الانتماء القومى الإيطالى للمهاجرين مشيدة إجادة أمديو الإيطالية قائلة أنه «يتكلّم أفضل من ولده وبل أحسن من الأستاذ فى جامعة روما.» (لخوص، ٢٠٠٣م: ٣٧) وهذا الأمر يشـير إلى أن أمديو هو إيطالى لأنّه يتّفق مع كلّ الشـروط أن يكون المهاجر إيطالياً أهمّها أنّه يتحدّث الإيطالية أفضل مـن الإيطاليين. إن إجـادة أمديو للإيطالية قد أثارت إعجـاب برفيز لدرجة أنه يعتبر أن مسـتوى تحدّث أمديو أفضل من بعض السياسيين الإيطاليين، لكن خلافا للبطل، أن برفيز نفسـه كلما يذهب للبحث عن العمل فى المطاعم الإيطالية يسـمع الجملات التى تشير إلى عدم اتقانه اللغة «مثل"أنت لاتعرف الإيطالية" و"عليک ان تحسّن لغتک أولا" و"آسف مستواک اللغوى منخفض جدا".» (نفس المصدر: ١٦) ومما لاشک فيه أن اللغة عند السكان الأصليين من أهم مثبتات الهوية لأجل قبول المهاجرين الأجانب فكل من لايجيد هذه اللغة فى بلدهم يعتبر إنسانا مرفوضا ويصعب التعامل معه.

مـن جانب آخر يعتبر أمديو اتقان اللغة بالنسـبة للمهاجرين بمثابة الحليب للرضيع

الذى يجب أن يشبع منه كل يوم. (نفس المصدر: ١٢٥) و هذا يدّل على أن اتقان اللغة تسرع وتسهّل عملية اندماج المهاجر فى المجتمع الجديد وفى المقابل أن فقدان الشخص المهارات اللغوية لها عواقب وخيمة لاتحمد عقباها بالنسبة إليه فى البيئات الجديدة.

و خلافا لأمديو الذى نجح فى تقليد الإيطاليين، نرى أن الطالب الهولندى "فان مارتن"الذى سافر إلى إيطاليا لدراسة السينما أصبح محط سخرية أهل روما لأنه استخدم بعض المفردات بشكل خاطئ، على سبيل المثال هو يستخدم دائما مفردة GENTIlE معتقدا أنها تعنى اللطيف والمهذّب والظريف فى القواميس بينما هذه المفردة فى المحادثات اليومية تعنى عديم التربية وغير متحضّر وبربرى. (نفس المصدر: ٨٨ – ٩٥) هذا هو الموضع الذى تنطبق فيه رؤية بابا لأنه يرى أن الاستهزاء هو أحد النتائج التى تنبع من نسخ المستعمَر (المهاجر) للثقافة والسلوك والعادات والقيم المستعمِرة (السكان الأصليين). (أشكروفت،٢٠١٠م: ٢٢٩) إضافة إلى هجنة اللغة لدى الشخصيات، لدينا فى الرواية النص السردى المهجّن حيث نرى استخدام اللغة الإيطالية و الفرنسية فيها إلى جانب اللغة الفصحى وبعض التعابير باللهجة الجزائرية التى جاءت على النحو التالى:

قد جاءت بدلا من "السيد" فى الفصحى، مفردة "السنيور" الإيطالية وبدلا من "السلام عليكم"، مفردة " ciao. كما أنه فى بعض مقاطع الرواية، تستخدم أمثال إيطالية مترجمة إلى العربية مثل الجملة التى يخاطب بها أنطونيو مارينى أهل روما: peggio di un romano (أسوء من ابن روما.) (لخوص، ٢٠٠٣م: ٨٨) كما نرى تأثير اللغة الفرنسية بصفة اللغة الثانية للروائى الجزائرى فى بعض مقاطع الرواية مثل هذه الكلمات Ihomme lafemme est Iavenir de (وراء كل رجل عظيم امرأة) (نفس المصدر: ١٢٧.) أو كلام أمديو: la verite bless (أن الحق مرّ) (نفس المصدر: ١٤٧) و La gueule du loup (أنا لست فى فم الذئب) لكاتب ياسين الروائى الجزائرى، نرى أن الراواى يريد التهجين الثقافى عن طريق شطب الحدود الفاصلة بين اللغات والهويات والثقافات وهذا الشطب للحدود يؤدى إلى الانتفاح باعتبار توجهه إلى المستقبل.

التهجين فى الاسم

يعتبر الاســم هو أحد المكونات التى تعطى الإنسان هويته وإن بنيته تختلف فى بلد عن آخر. إن بطل الرواية أحمد يبدّل اسمه "بأمديو" ليســاعده على العيش الأفضل فى البيئة الجديدة ويســمح بخلق نوع من التّوازن بين الشــخصيات المتعدّدة كما أنه يخفّف من أعباء الذاكرة من الحياة الماضية ومن الشــخصيات الأخرى التى تعانى من الهجنة فى الإســم هى "محسن؛ المهاجر التونســى الذى يعمل فى المطعم وقد بدّل إسمه العربى بإســم "ماسيمليانو" الإيطالى. (لخوص، ٢٠٠٣م: ١٣٠) والشخصية الأخرى هى إقبال «الذى اتخّذ قراره إذا كان طفله الرابع ولدَا، أن يسمّيه باسم إيطالى مثل "فرانشيسكو" بدلاً من الأسماء الإسلامية والشرقية وإذا كانت فتاة فسوف يسمّيها "روبرتا".» (لخوص، ٢٠٠٣م: ٥٩) يقول إقبال أن هدفه من ذلک هو إزالة العقبات والمشاكل التى يحدث له نظام التسمية الإسلامية عليه فى المجتمع الإيطالى لأنه من الصعب على الغربيين التمييز بين اسمه إقبال ولقبه الذى يعتبر اســم أبيــه؛ أميرالله، بالإضافة إلى ذلک أن الإيطاليين ليس لديهم شــعور جيد تجاه حاملى الأسماء الإســلامية ويتجوّســون منها وعمله كهذا «يسّــهل عليهم عملية التمييز بين الاســم واللّقب ويجنّب ابنه فى المســتقبل محنة تشابه الأسمــاء.» (نفس المصدر) رغم أن أطفال إقبال الثلاثة الأوائل يحملون أسماء إســلامية وعربية.يدلّ هذا على أن إقامة حامل الأسماء العربية والإســلامية المقيم فى المجتمعات الغربية يدفعه لتغيير اسمه تفاديا من المشكلات التى تطرأ عليه تسمية الأسماء الإسلامية.

خلافا لهذه الشخصيات نرى القدور ابن بلد أمديو الذى يقاوم أمام أى تغيير لاسمه وهو يمثّل شــخصية مســلم متمسّــک ذى أفكار رجعية وعلى الرغم من أن العديد من الإيطاليين غير قادرين على نطق اسمه لكنه يرفض اســتبداله باســم إيطالى؛ لأنه يرى أن تغيير الاســم يساوى تغيير الهوية وهو متمســک بهويته وباسمه وبدينه وحتى بلغته. فهو لايخفى شــيئا من ذلک بل يعتز ويفخر كونه مسلما عربيا (لخوص، ٢٠٠٣م: ١٢٩-١٣٠) يظــن القــدّور أن من يغيّر اسمه يترک دينه ولغته ويعمل هذا لنيل رضا الســكان الأصليين و يضرب مثال محســن التونسى الذى غير اسمه بماسيمليانو. قدور لديه أفكار سطحية يتمسّک بالشيء الظاهر والمحسوس، يرى القشور وغير آبه باللب لذلک نشاهد

أنه يعتقد أن عمل من يغيّر اسمه لأجل تسهيل أموره فى البيئة الجديدة يساوى «عقوق الوالديــن و عصيانهما لأنهما من يختاران أسماء الأولاد كما أنه يعتبر هذا العمل مخالفا لأوامر الله تعالى ونواهيه وذنبا كبيرا يســتحق عليه الإنســان العقاب الإلهى ويعدّ هذا الأمر من الكبائر كالقتل والزنى وشهادة الزور وأكل مال اليتيم.» (نفس المصدر: ١٢٩)

إن تغيير الاســم لدى القدّور أيضا يساوى إنكار الأصل كما أنه يعتقد من يعتنق دينا جديدا يغير اسمه القديم، لذلك بعد وصوله الخبر أن أحمد قد غيّر اسمه بأميدو، يقلق ويشعر أنه قد ارتدّ عن الإســلام، لذلك قام شخصياً بالتحرّى عن هذا الموضوع فسأل أحمد عن حقيقة الأمر فعندما أجابه بجواب ســلبى لاعتناقه المسيحية، تنفس الصعداء ويشكر الله. (نفــس المصدر: ١٣٤) فى موضع آخر من الروايــة، يعتبر قدّور أن من ينكر أصله يعانى من أزمة فى الهوية، لذلك تارة يشــبّهه بالبغال الذى لايمكن إطلاق اســم الحصان عليه لأن والده هو الحمار وتارة بالغراب الذى أراد تقليد مشــى الحمامة (السكان الأصليين) لكن بعد محاولات فاشلة، قرر العودة إلى مشيته الأصلية. (نفس المصدر: ١٣١) رغم جميع محاولات القدّور، يدرك أخيرا أنه لايمكنه العوم عكس التيار ولأجل التخلص من ضغوط المجتمع الإيطالى وحساسيتهم تجاه اسم عبدالله وعدم تجاوز الخطوط الحمراء التى يرسمها لنفســه، يســتخدم قاعدة المصريين فى تســمية الأسماء التى تبدأ ب"عبد" لأنه من عادة الفراعنة منــاداة كل من يبدأ اسمه ب"عبد" مثل "عبــدالله" و"عبدالرحمن" و"عبدالرحيم" بعَبدو"، لذلک يقبل مناداته ب"عبدو" بدلا من "عبدالله.

يشــير هــذا الأمر إلى إن الأجــواء الثقيلة المخيّمة على من يحمــل الأسماء العربية والإســلامية فى المجتمعات الغربية خاصة بعد هجمات ١١ ســبتمبر، يرغم أشــخاص مثل القدّور الذين يتمسّــكون بالعادات والتقاليد الإســلامية والعربية أن يتراجعوا من مواضعهم المتشّددة حيال تغيير الاسم وأن يقوموا بإجراء تعديلات على أسمائهم بهدف التكيف والتأقلم فى المجتمع المضيف والاندماج فيه.

التهجين فى الأكل

لا تنفصل ثقافات الشــعوب فى الأكل عن ثقافة المجتمع العامة، فكل مجتمع يحاول

تأصيل هويته بانفراده بثقافة طعامه التى تختلف عن الآخرين ويبقى الأكل هو أحد ميزات المجتمع الذى يميزه عن الآخرين. «الكاتب الفرنسى "جان بريلات" له مقولة شهيرة تختص بالطعام فهو يقول "قل لى ماذا تأكل.. أقول لک من أنت "ويفهم من ذلک أن شخصية الإنسان تظهر للآخرين من خلال الطعام الذى يتناوله وطريقة إعداده وطهيه وآداب المائدة.» (سليمان: mubasher.aljazeera.net:2017) كما أن الأكل رمز لنمط الحياة وثقافة النّاس فى كل منطقة وأنّه لغة مشتركة بين البشر بإمكانه نقل الثقافة والأطعمة التى يتناولها الشخص تعطى الكثير من المعلومات عنه لمن حوله وتمثّل هويته وفردّيته وطبقته الاجتماعية وعرقه وأحيانا دينه. لذلک من خلال اختيار نظام غذائى معين قد يفصل الإنسان نفسه عن الآخر وردم فجوة تمييزه عن الآخرين أو عن طريق الأكل أن يرقى نفسه إلى مكانة اجتماعية عالية أو أن يهبط إلى مكانة متدنّية. (Anderson, 2003: 124-125) يصوّر الروائى أن هجنة المهاجر ترتبط ارتباطا مباشرا بإعجابه بتناول المأكولات المحلية فى البلد المستضيف. إن أمديو الذى انصهر وذاب فى الثقافة الإيطالية ولم يترک أى مجال للشک فى كونه غير إيطالى، لاتعجبه المأكولات الإيطالية فحسب، بل هو مدمنها حق الإدمان إذ يقول «لاشک أن البيتزا هى أكلتى المفضلّة، لاأستطيع الاستغناء عنها. كل أعراض الإدمان بارزة إذا، امتزجت بدمى كما تفعل الكحول بدم المدمن. عمّا قريب أذوب فى العجين و أصير بدورى بيتزا.» (لخوص، ٢٠٠٣م: ١٠٥) فى المقابل يوجد برفيز الذى لا يرغب أكل البيتزا فحسب، بل يكرهها بشدة. نرى أن البيتزا التى ترمز إلى هوية إيطاليا يستخدمه الروائى للإشارة إلى مدى هجنة المهاجرين فى المجتمع الإيطالى وإثبات أنَّ كره وحب هاتين الشخصّتين لبيتزا ليسا حبا وكرها حقيقيين، فالبيتزا نسق ثقافى مضمر اشتهاؤها أو كرها يشير إلى رغبة الاندماج والحلول فى الثقافة الإيطالية وعدمه؛ إضافة إلى ذلک أن برويز يعتبر المأكولات الإيرانية العامل الوحيد الذى يربطه بمسقط رأسه؛ شيراز، معتبرا الأكل الغربى تمهيدا للاندماج فى الثقافة الغربية والابتعاد عن الثقافة الإيرانية، لذلک يفضّل الابتعاد عن المأكولات الغربية والالتزام بالأطعمة الوطنية التى تعدّ جزءًا من الثقافة الوطنية وتقاليدها. كما أنّه يرفض تعلّم طريقة طبخ أكلات إيطالية خشية على هويته.

فــى الحقيقة إن الخــوف على الهوية والخوف من الانفتاح على الآخر قد جعلا "برويز" لكى لايتقن الإيطالية وبالتالى فقد تواجه المتاعب والمشاكل فى حياته اليومية فى البلد المستضيف والتواصل مع السكان الأصليين.

التهجين فى العادات و التقاليد

كما أشرنا سابقا أن أمديو كان ناجحا فى تقليده للإيطاليين حيث ينظر إليه كإيطالى مثقّــف لكن البعض الآخر من المهاجرين عندما يســافرون إلى بلدان أوروبية، يحملون معهــم عاداتهــم وتقاليدهم وطريقــة حياتهم. فــلا يمكنهم ترك هذه الأمــور كالملبس والأكلات وحتى الأفلام التى يشــاهدونها ولذلک نرى فى الرواية صدمة زوجة أمديو عندما تشــاهد أن الرجال البنغاليين رغم عيشــهم فى بلد أوروبى مثل إيطاليا يلبسون اللبــاس التقليدى البنغالى ويشــاهدون الأفلام البنغالية. (نفــس المصدر: ١٢٣) وهذا يوصلنا إلى القول إن هؤلاء الأشخاص رغم عيشهم فى بلد أوروبى غير أنهم لايريدون الانفصال عن تقاليدهم وعادتهم الوطنية ويؤدى هذا الأمر إلى تصعيب عملية الاندماج إلى البيئة الجديدة.

من جانب آخر نرى أن إقبال هو الشــخصية التى كرّس جهدا كبيرا ليضفى الطابع المؤسسى للهوية ماوراء الحدود الوطنية فى مكان جديد للحياة، إلا أنه لايزال يتمسّک بالجــذور الثقافية والأواصر الوطنية البنغالية ولم يســتطع الولــوج إلى الفضاء الثالث. إنه على الرغم من تســمية ولده باســم إيطالى وتسجيل اسم ولده الآخر فى المدارس الإيطالية بدلا من مدارس تعلّم القرآن غير أنه لاينفصل عن الأفكار البالية والقشــرية عن الإسلام «حيث أنه يمنع زوجته من الخروج من البيت والتوجّه لدراسة اللغة الإيطالية عند زوجة أمديو "اســتيفانيا" بذريعة أن الإسلام حرّم الاختلاط بين المرأة و الرجل.» (نفــس المصدر: ٦٠) لذلک لانحيد عن جادة الصواب إذا اعتبرنا أن إقبال لايعيش فى الفضــاء الثالث مثل أمديو بل فى الفضاء البينــى. لكن خلافا لبرويز الإيرانى والقدور الجزائرى لايكره ثقافة بلد المنشأ إيطاليا وتقاليده، بل يريد أن يندمج فى ثقافته.

ولايختلف موضع "ماريا كريســتينا غونزالز" عن المهاجريــن البنغاليين. على الرغم

من أن إيطاليا تتمتّع بصناعة سينما متقدّمة، إلا أنها بدلا من متابعة الأفلام الإيطالية، كما تقول نفسها تشاهد المسلسلات المكسيكية والبرازيلية يوميا وتعرف أدق التفاصيل عن حياة الممثلين فى أمريكا اللاتينية. (لخوص، ٢٠٠٣م: ٧٦) وفى الختام لابد لنا أن نقول إن الثقافات فى الدول المستضيفة للمهاجرين مهجنة؛ لم تظهر الثقافات فى الفراغ، بل إنها ظواهر زمانية ترتبط مع بعضها البعض. لذلک فإنّ الصِّدام الثقافى ليس حدثًا تاريخيا وقع فى وقت معين فى الماضى، بل انّه يتكوّن من سلسة من الصدامات التى بدأت من الماضى وتستمرّ حتى يومنا هذا وسوف تواصل عواقبها على العلاقات بين الثقافات فى المستقبل. إذن فى المجتمع المهجّن مثل المجتمع الإيطالى، إن المزاعم الجوهرية بشأن الخلفية أو المنشأ الأصيل وغير مدمج ليست لها محلا من الإعراب وبدلا منها ينبغى إيلاء اهتمام إلى الحوار بين الثقافات.

النتيجة

يتضح لنا مما سلف ذكره أن رواية "كيف ترضع" لعمّارة لخوص هى رواية شبه سيرة ذاتية أو على الأقل تقدير مستوحاة من الواقع الذى عاش فيه الروائى نفسه. يعتبر لخوص أن اللغة هى أهم أدوات المهاجر لاجتياز الفضاء البينى إلى الفضاء الثالث وهى ما يعطى المهاجر فرصة لإثبات نفسه بين السكان الأصليين.

نرى فى هذه الرواية أن معظم الشخصيات فى القصة ماعدا بطل الرواية أمديو تجد صعوبة فى التواصل مع السكان الأصليين وهولاء الشخصيات ليست بمقدورها التواصل بسهولة مع الآخرين فى مكان العمل أو البيئات الاجتماعية الأخرى.إن عدم مقدرة هؤلاء للتواصل مع البيئة الجديدة يرمز إلى عجزهم لقبول الهويات الجديدة أو ماوراء الحدود الوطنية.

من ناحية أخرى إن الهوية المهجّنة لدى المهاجرين فى الدولة الأجنبية تتمثّل فى شؤون كالدين والاسم واللغة والعرق والأكل والعادات والتقاليد ومن خلال دراسة هذه الأمور، تظهر انعكاسات الثقافة الإيطالية على الثقافة الوطنية للمهاجرين على النحو التالى:

الدين: الهجنة فى الدين واضح وضوح الشمس فى هذه الرواية. يمكن اعتبار إقبال البنغالى مثالاً على ذلک، رغم أنه يعدّ نفسه مسلماً، لكن فى المجتمع الغربى خاصة فى إيطاليا يفضّل أن يسـجّل أبناءه فى الحضانة الإيطالية بدلا من تسـجيلهم فى مدارس تعلّـم القرآن أو مدارس التعاليم الدينية وبطل الرواية الذى يقبل إقامة علاقة مع امرأة ايطالية خارج نطاق الزواج خلافا للتعاليم الدينية، بالإضافة إلى رفض مشـاركة ابن بلده عبدالله فى جامع روما لأداء الصلاة مع بقية المسلمين.

الاسـم: إن الهجنة فى الأسماء واضح تماما فى شـخصية أحمد السالمى بطل الرواية الذى بدّل اسمه بأمديو لتسهيل اندماجه فى البيئة الجديدة ومن الشخصيات الأخرى فى هذا المجال، يمكن الإشارة إلى إقبال الذى ينوى تسمية ولده الجديد بإسم إيطالى بدلا من تسميته بأسماء إسلامية وشرقية والمهاجر التونسى الذى بدّل اسمه باسم ماسيميليانو.

اللغـة: إن لغة الرواية هـى العربية الفصحى لكن فى جميع أنحاء الرواية، إلى جانب المفـردات والتعابير المحكية فى اللهجة الجزائرية مثل "ابـن حومة" تموج فيها مفردات الإيطالية مثل "تشاو" و"كاتسو" وغيرها من مفردات بلد المستضيف كما نشاهد الكثير من التعابير الفرنسـية كلغة الاستعمار الفرنسى فى بلد الروائى والتى لاتزال تنطق فى الجزائر.

الأكل: إن أمديو بسبب الذوبان والاندماج فى الثقافة والعادات والتقاليد فى البلد المقصد، أدمن الأطعمة والمشـروبات الإيطالية خاصة كابوتشـينو والبيتزا وفى المقابل تقع شـخصية برفيز الذى يكره أكلات إيطالية. نرى أن البيتزا هو رمز للثقافة الإيطالية وكراهيـة برفيز هى كراهية للثقافـة والعادات الإيطالية كما يعـد الأكل الغربى تمهيدا للاندمـاج فى الثقافة الغربية والابتعاد عن الثقافة المحلية على زعم برفيز، لذلک يفضل الابتعـاد عن المأكولات الغربية والالتزام بالأطعمة الوطنيـة التى تعدّ جزءًا من ثقافته الوطنية وتقاليدها.

والكلمـة الأخيرة أن لخوص يعتقد أن عالم اليوم يتطلّب التعامل الثقافى والثقافات المهجّنـة نظرا لهجرة ما وراء الحدود الوطنية و توسـيع الاتصالات وشـبكة الإنترنت العالمية وبالتالى يدعو إلى اقتراب الشعوب والدول من بعضهما البعض.

المصادر والمراجع

أشـكروفت، بيل وغاريث غريفيث وهيلين تيفن. (٢٠١٠م). دراسـات مابعـد الكولونيالية؛ المفاهيم الرئيسة. ترجمة:أحمد الروبى وأيمن أحلى وعاطف عثمان، ط١. القاهرة:المركز القومى للترجمة.

افشـارى، بهبهانىزاده وفريندخت زاهدى. (١٣٩٢ش). «ادبيات نمايشـى مهاجرت ايرانيان ساكن در اسـترالیا؛ تحلیل پسااستعماری نمایشنامه در آینه اثر محمد عیدانی». فصلية جامعهشناسی هنر و ادبيات، السنة الثانية.العدد الخامسة. صص ١٤٧-١٦٤.

ثابـت، طـارق، (٢٠١٤م). «هوية الأدب بين الحضـور والغياب فى الخطاب النقـدى العربى ما بعد الكولونيالى». مجلة الأثر. سنة١٣. العدد ٢١. صص١٠٣-١١٢.

حق‌شـناس، علی‌محمد ونرگس انتخابی وحسين سامعی.(١٣٨١ش). فرهنگ معاصر هزاره؛ انجليزی ـ فارسی. المجلد٢. ط٣. طهران: دار نشر قاموس الحديث.

خمری، حسين. (١٣٩٤ش). «هجرة النص وثبات الهوية». فصلية نقد ادب عربى.السنة الخامسة. العدد العاشرة. صص ٢٩٣-٣١١.

ذاكری، آرمان. (١٣٩٢ش). «چشـم انداز انديشـه، در ضرورت طرح و سـنجش مطالعات پسـا استعماری». فصلية "چشم انداز ايران، العدد ٧٧، صص ٦٤-٥٩.

سـپهوند، حاجی‌علی. (١٣٩٤ش). «پسـا – اسـتعمار يا پسـا – مدرن؟». ط١. طهران: منشورات نارنجستان كتاب.

سـنو، غسـان منير حمزه وعلى أحمد الطرّاح. (٢٠٠٢م). «الهوية الوطنية والمجتمع العلمى والإعلام». ط١. بيروت: دارالنهضة العربية.

شاهميری، آزاده. (١٣٨٩ش). «نظريه و نقد پسااستعماری». ط١. طهران: منشورات علمية.

شـيرزاديان، رضا. (١٣٨٨ش). «مطالعات پسااستعماری؛ نقد وارزيابى ديدگاه‌هاى فرانتس فانون، ادوارد سعيد و هومى بابا» فصلية الدراسات السياسية، العدد الخامسة. ١٤٩-١٧٤.

عصفـور، جابر. (٢٠١٢م). «عن المهجر والمنفى من منظور مختلف، ضمن "الثقافة العربية فى المهجر». مجلد١. الكويت: الثقافة العربية فى المهجر، العدد ٩٠. ص١٧.

فرهمندفر، مسـعود. (١٣٩٣ش). «جايگاه آسـتانه‌اى فرهنگ: هومى بابا و نظريه پسااسـتعمارى»، فصلية الدراسات النقدية. السنة الأولى. العدد الرابعة. صص ١٧-٣٤.

فرهمندفر، مسـعود وامیرعلی نجومیان. (١٣٩٢ش). «پيوندخوردگى هويت در نظريه پسااستعمارى، مطالعه موردى فيلم پيانيسـت اثر رومن پلانسـكى». هنرهای نمايشى و تجسمى. السنة الثانية. العدد السادسة. صص ٦٣-٧٣.

قمری، محمدرضا ومحمد حسـن‌زاده. (١٣٨٩ش). «نقش زبان در هويت ملى». مجلة زبان پژوهشـى لجامعة الزهراء (دورية علمية محكّمة). السنة الثانية. العدد الثالثة.ص٣.

كارتر، ديفيد. (٢٠١٠م). «النظرية الأدبية» ترجمة: باسل مسالمة، ط١.سوريا: دار التكوين.
لخـوص، عمّـارة. (٢٠٠٣م). «كيـف ترضع من الذئبـة دون أن تعضک». ط٢. الجزائر: منشـورات الاختلاف.
_____ . (٢٠١٠م). «القاهرة الصغيرة».ط٦. بيروت: منشورات الاختلاف.
لک، منوچهر. (١٣٨٤ش). «هويت ملی در شعر دفاع مقدس»، فصلية دراسات وطنية إيرانية. السنة السادسة. العدد الثانی. صص١١١-١٣٢.
المسكيني، فتحی. (٢٠٠١م). الهوية والزمان ط١، بيروت: دار الطليعة.
موسوی، سيد صدرالدين ومسعود درودی. (١٣٩١ش). «نگرشی انتقادی بر مطالعات پسااستعماری و رويكردهای آن»، فصلية دراسات بينية فی العلوم الإنسانية. العدد الأول. صص ٧٣-٣٩.
نجوميان، اميرعلی. (١٣٩٣ش). «سـبک زندگی در ترجمه؛ بررسـی نشـانه - پديدارشناختی سبک زندگی مهاجر».يازدهمين هم‌انديشی حلقه نشانه‌شناسی سبک زندگی. السنة الأولی. صص ٩-٢٢.

References

Anderson, E.N.(2005) :Everyone Eats: Understanding Food and Culture, New York and London: New York University Press.
Bhabha, H, K .(1994) :The Location of Culture, London, Routledge Classics.
Soukhanov.A.H.(2005): The American Herigage dictionary of the English Language,third edition, New York and Boston: Houghton Mifflin Company.
Gwinn,R.P.(1991) :The New Encyclopedia Britannica, Volume 4, 15th Edition, London.
Warschauer, M. (2007) :Language, Identity, and the Internet,Irvin: University of California.

المصادر الإلكترونية

قناة الجزيرة المباشرة، ٢٠١٧م، صلاح سليمان: http://mubasher.aljazeera.net/opinion
الموقع الإلكترونی الخاص للخوص، ٢٠١٢م، السيرة الذاتية للخوص
http://www.amaralakhous.com/biography-arabi
فرانس٢٤، ٢٠١٣م، مقابلة شخصية مع عمّارة لخوص:
https://www.france24.com/ar/20130513
قناة الجزيرة، ٢٠١٥م، مقابلة شخصية مع عمّارة لخوص:
https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2015/1/29/